



سرور

الدلفين الأزرق



ولادة سرور كانت بهجة لأمه. حملته في بطنها. رعته مع إناث مجموعتها. كانت جولاتها البحرية ملتصقة بجسم سرور. وكانت خالاته من أسرة مجموعته، من تقمن بحمايته من كل خطر أسماك قرش أو ما شابه. رعاية تامة. تعلم فيها سرور معنى الحنان والحضانة والرعاية. معنى السعادة والفرح والرقص مع الأمواج.

كانت جدة سرور، أنثى دلفين، هي من أنقذت امرأة على وشك غرق محقق سنة 1949. حيث حملتها حتى شاطئ أمان. كان فريق أسرته الكبيرة من انخرط في شراكة صيد جماعي مع أهل تلك القرية على الشاطئ. حلف سلام وتعاون بين البشر والحيوان.



يشكلون حزام طوق حول سرب سردين أو حبار. يوجهونه حتى مياه بركة محصورة الجوانب، قليلة العمق، منعمة الأمواج. يستقبل الصيادون وأهل القرية هدية الدلافين بغناء ورقص وابتسامات.

تسمع الطامطام والقيثارة والتحيات. تردُّ الدلافين برقصات جو - مائية جماعية وأصوات شبه إنسانية، تكاد توحي بحوار بين البشر والدلافين. يتساءل معه المرء: ترى هل الدلافين بشر مائي؟ سؤال حير أمين، كما حير جلُّ أصدقائه الذين علموا الحكاية:

هل الدلافين بشر مائي؟

وغالبا ما طُرِح السؤال على سرور كذلك، لما أصبح راشدا كبيرا، مرافقا لمدرّبه ورفيقتة الحسناء حسناء. هكذا تسميتها وشهرتها.



في مسبح الأكواريوم المفتوح، والمشهور عالميا، على سواحل المحيط الهادي، كان سرور يقيم تدريباته ويحيي لوحاته البهلوانية الراقصة مع تصفيقات الجمهور الذي يحضر لرؤية حركاته ورقصاته، ومع ألوان الموسيقى وصفارة وصوت حسناء الحسناء.

هكذا قامت العلاقة الأخوية بين سرور وحسناء. كان الفراق صعبا عليهما هما الاثنين. لكن، كان لابد لسرور أن يعيش حياته الطبيعية، داخل مياه المحيط، أن يهاجر شمالا وجنوبا، أن يحقق فطرته الخلقية بمزيد اكتسابٍ لحياة الدلافين الطبيعية.



لقد نال سرور أوسمة عروضٍ رائعة من بلدية القرية، ومن "جمعية أصدقاء الدلفين الأزرق سرور". يوما ما، فكر شباب الجمعية في حق سرور في حياة طبيعية. اكتسبوا من عنده الرغبة في الفرح الدائم والحق في السعادة الطبيعية. ف"سرور"، كان دائم الحركة والابتسام والصوت المغني. يتذكر يوم جلست حسناء الحسناء بجانب مسبح الأكواريوم المفتوح، ودموعها على خدّها. كيف خرج من الماء، وبقي مستلقيا أمامها بصوت يئنّ تضامنا، يتساءل: ما بال حسناء الحسناء؟



كيف عاد إلى الماء، فلبث لدقائق فيه صامتا ثم تَفَجَّرَ حركةً، وضاعف من تحليقه وقدرته على القفز والدوران في الهواء ، ورشَّ حَسَاءً بالماء حتى بَلَّلَها بكل الماء، ودفعها بأنفه إلى داخل المسبح مضطرا إليها للسباحة وممارسة التمارين الرياضية معه، وهي مدربته وصديقه ومغذيته، ورفيقة مشاعره ومحاربة وحدته.

كم من الليالي الدافئة، كانت حَسَاءً تنام بجانب المسبح، حتى لا تَقْتُلَ الوحدةُ سرورَ، وتجعله دائما في حالة سرور.

هذه يا صديقي العصفور نور هي قصة "سرور"، كما حكيتها لي. ولكن، لم تقل لي: كيف التقيت به وأصبحت صديقه، وتعرفت على حكايته؟

حسن إمامي